رحلات أنور

مع الياك فى بلاد التبت

— ١٤ — (تابع ما قبله)

وكانَ البَيْتُ الَّذِى أشارَ إليهِ الياكُ ، ورافقَ أنورَ إليه ، مَبْنِيًّا بالحجارةِ . فالحجارةُ موجودةٌ بكثرةٍ فى بلادِ التِّبتِ ، بَيْنَمَا الخشبُ قليلٌ جدًّا . وكانَ السَّقْفُ مُسَطَّحًا ، وقد نُشِرَتْ عليهِ حبوبٌ لتجفَّ . وكانَ البابُ الذى دَخَلَ منهُ أنورُ صغيراً ، ولكنَّهُ وَجَدَ الحجرةَ متَّسِعَةً . أما النَّوافذُ فكانَتْ صغيرةً كذلك ، ولذلك كانَتِ الغُرْفَةُ مظلمةً ، عَلَى أنَّ الضَّوْءَ كانَ كافيًا لِيَتَبَيَّنَ أنورُ أنَّ الدَّارَ مملوءةٌ بالطَّنافِسِ (السجاجيد) والملابسِ والأثاثِ . وكانَ لِلبَيْتِ مَطْبَخٌ كبيرٌ ، قد حَوَى كثيراً من أدواتِ الطَّبْخِ النُّحاسيَّةِ ، وأباريقِ اللَّبَنِ ، وعَدَدًا كبيراً من أباريقِ الشَّاى — وأهلُ التِّبتِ فَخُورُونَ جِدًّا بأباريقِ الشَّاى التى يَقْتَنُونَهَا . وكانَتْ كُلُّ تلك الأوانِى نظيفةً ، ولكنَّ الدَّارَ كانَتْ قَذِرَةً ، وكذلك كانَ سَاكِنُوهَا . فالنـــاسُ فى تلك البلادِ لا يُكْثِرُونَ من الاسْتِحْمَامِ أو مِنْ غَسْلِ ملابسِهِمْ .

وَلَمَّا دَخَلَ أنورُ إلى الدارِ . سَأَلَتْهُ الأُمُّ قائلةً : « أتُحِبُّ أنْ أُعِدَّ لَكَ شيئًا تَأْكُلُهُ وقليلا من الشَّاى لِتَشْرَبَهُ ؟ »

فقالَ أنورُ : « نَعَمْ ، ولَكِ الفَضْلُ ! » ثم أخَذَ يُلاحِظُهَا ، وهى تُجَهِّزُ الشَّاىَ — والشاىُ لا يُزْرَعُ فى بلادِ التِّبتِ ، وإنَّما يُشْتَرَى من التُّجَّارِ الذين يَفِدُونَ إليها من الصِّينِ . وهؤُلاء التُّجَّارُ يَجْلِبُونَ معهم ، عَدَا ذلك ، قُطْنًا وأشياءَ اخرَى ، لِيَسْتَبْدِلُوا بها الصُّوفَ والجلودَ التى يَحْصُلُ عليها أهلُ التِّبتِ من أغنامِهِمْ . أخَذَتِ المرأةُ مِلْءَ يَدِهَا من

رجال ونساء من بلاد التبت

الشَّاى وَوَضَعَتْهُ فى إناء به ماء، وتَرَكَتْهُ يَغْلى عَلَى النَّارِ، حتَّى انْطَبَخَ الشَّاىُ انْطباخاً جيِّدًا. ثمَّ خَلَطَتْهُ بِكَثِيرٍ من الزُّبْدِ والمِلْحِ. وطَلَبَتْ من أنور أنْ يَجْلِسَ على طِنْفِسَةٍ (سجادة) أمَامَ مائِدَةٍ مُنْخَفِضَةٍ، وجَلَسَتْ هى تُجَاهَهُ ومَلأتْ له (الفِنْجَانَ) ولَمْ يُعْجِبْهُ الشَّاىُ كثيراً، عَلَى أنَّهُ لَمْ يَجِدْهُ كَرِيهَ الطَّعْمِ لِلدَّرَجَةِ التى تَصَوَّرَهَا عِنْدَ ما رَآهُ يُغْلَى مُدَّةً طَوِيلةً. ثمَّ قَدَّمَتْ لهُ عَصِيدَةً مَصْنُوعَةً منَ الشُّوفَانِ والزُّبْدِ، وقِطْعَةً من لَحْمِ الضَّأْنِ السَّمِينِ، وجُبْنًا، لِيَأْكُلَ.

وفى أثناء ذلك دَخَلَ الوالِدُ. ولما رَأى أنَّ بالمَنْزِلِ ضَيْفًا، تَقَدَّمَ وانْحَنَى على رُكْبَتَيْهِ ووَضَعَ يَدَهُ اليُمْنَى بجانِبِ خَدِّهِ الأيْمَنِ، ويَدَهُ اليُسْرَى تحت كُوعِ ذِراعِهِ الأيْمَنِ، وأخْرَجَ لِسَانَهُ. وقد ظَنَّ أنور أنَّهُ بِعَمَلِهِ هذا يُرِيدُ أنْ يَسْخَرَ منه. ولكِنَّ الواقِعَ أنَّ هذا مُنْتَهَى الأدَبِ عند هؤُلاء القَوْمِ. فَكَأنَّهُ قَصَدَ أنْ يَقُولَ: «هَلْ مِنْ خِدْمَةٍ أُؤَدِّيهَا لَكَ؟»

ولَمَّا تَعَارَفَ أنور والوالِدُ، خَرَجَا مَعًا. ولكِنَّ البَرْدَ كَانَ قَارِساً والرِّيَاحَ تَلْسَعُ كالإبَرِ. وكَانَتْ قُطْمَانُ الياكِ وَاقِفَةً وظُهُورُهَا إلى الرِّيحِ، ورُءُوسُهَا مُدَلاَّةً إلى أسْفَلَ، وشَعْرُهَا الكَثِيفُ يَحْمِيهَا من تأثِيرِ الرِّيَاحِ القَارِسَةِ. وهى مُخْتَلِفَةُ الألْوَانِ فَبَعْضُهَا أسْوَدُ وبَعْضُهَا أبْيَضُ وبَعْضُهَا الآخَرُ أسْمَرُ. أمَّا الرِّجَالُ فكَانُوا يَلْبَسُونَ مِيثَرَاتٍ (سُتَرًا) وقِبَعَاتٍ من جِلْدِ الغَنَمِ المُبَطَّنِ بالصُّوفِ.

وارْتَمَشَ أنور من شِدَّةِ البَرْدِ، وأرَادَ أنْ يَعُودَ إلى سَفِينَتِهِ. ولكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ أحَداً يُرْشِدُهُ إليها. فالياكُ لَمْ يُرِدْ أنْ يَبْتَعِدَ عن الحَشَائِشِ التى عَثَرَ عليها، والوالِدُ لَمْ يُرِدْ أنْ يَبْتَعِدَ عن يَاكِهِ. واسْتَاءَ أنور من ذلك، وصَاحَ: «هَلْ أبْقَى هُنَا إلى الأبَدِ؟» فَرَدَّ عليه الياكُ قائلا: «لا تَبْكِ هكَذَا أيُّهَا الأحْمَقُ! فَإنَّ أُمَّكَ بجانِبِكَ!»

وكَانَتْ أُمُّهُ حقيقةً واقِفَةً بجانِبِ سَرِيرِهِ فى غُرْفَةِ نَوْمِهِ، تُنَادِيهِ قائلةً: «قُمْ يا أنور، فَأبُوكَ قَدْ خَرَجَ إلَى عَمَلِهِ، وأنْتَ لا زِلْتَ فى الفِرَاشِ.»

ونَهَضَ أنور من فِرَاشِهِ، وتَعَلَّقَ بِعُنُقِ أُمِّهِ قائلاً: «أليْسَ هذا بَدِيعاً؟»

فَسَأَلَتْهُ أُمُّهُ: «أىَّ شَىْءٍ تَقْصِدُ يَا بُنَىَّ؟»

فَأجَابَهَا أنور: «سَفِينَةَ والِدِى! لقد حَصَلْتُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ! ولكِنِّى قد أعَدْتُ الحيواناتِ كُلَّهَا إلى أوْطَانِهَا.»

فَصَاحَتْ أُمُّهُ قائلةً: «ما أصْلُ هذا الكَلاَمِ وما الذى تَقْصِدُهُ منه؟»

فَأجَابَهَا أنور: «السفينَةَ والأسَدَ والحَلْوَى والدَّرَّاجَةَ». ثمَّ قَصَّ عليها القِصَّةَ التى رَوَيْنَاها لك مُسَلْسَلَةً فى هذه المَجَلَّةِ.